**"إرباكات" طوفان الأقصى والأسئلة عن أفق ما بعد الحرب**

06-11-2023 | 00:00 **المصدر**: "النهار"

**عبد الهادي محفوظ**

إرباكات كثيرة تسبّبت بها عملية "[#طوفان الأقصى](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d8%b7%d9%88%d9%81%d8%a7%d9%86+%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%82%d8%b5%d9%89)" التي قامت بها ’’[#حركة حماس](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d8%ad%d8%b1%d9%83%d8%a9+%d8%ad%d9%85%d8%a7%d8%b3)‘‘ ضد [#الجيش الإسرائيلي](https://www.annahar.com/arabic/news/listing?tag=%d8%a7%d9%84%d8%ac%d9%8a%d8%b4+%d8%a7%d9%84%d8%a5%d8%b3%d8%b1%d8%a7%d8%a6%d9%8a%d9%84%d9%8a) والمستوطنين في ’’غلاف غزة‘‘. والإرباك كان متعدّد الوجوه والأبعاد.

في إسرائيل أحدثت عملية ’’طوفان الأقصى‘‘ اهتزازاً عنيفاً على المستويين: مستوى المجتمع السياسي ومستوى المجتمع العسكري. فكان تبادل الاتهامات حول مسؤولية أيّ من المستويين وكان هناك تشكيك في صدقية الاستخبارات الإسرائيلية وفي صورة الآلة العسكرية وفي الرواية السياسية لليمين الديني وحكومته بزعامة نتنياهو.

والإرباك الإسرائيلي الكبير كان في سوء التقدير الإسرائيلي إزاء ’’حركة حماس‘‘. ففي الحسابات الإسرائيلية أن نتنياهو واليمين الديني نجحا في ’’تحييد حماس‘‘ في المواجهات العسكرية السابقة التي كانت تدور مع حركة ’’الجهاد الإسلامي‘‘ وباقي المنظمات الفلسطينية فكانت مفاجأة ’’حماس‘‘ غير المتوقعة في ’’غلاف غزة‘‘ حيث اقتحمت المواقع العسكرية الإسرائيلية وعادت بضباط وجنود أسرى إلى داخل غزة.

واستتبع الإرباك الإسرائيلي توجهات سياسية متسرعة من الحكومة الإسرائيلية منها المساواة بين ’’حماس‘‘ و’’داعش‘‘ ومثل هذه المساواة لم تكن واردة في قاموس هذه الحكومة سابقاً. هذا أولاً. وثانياً إعلان حرب الإبادة والتهجير على غزة. وثالثاً تحرير الأسرى الإسرائيليين بالقوة بعد ’’اجتثاث حماس‘‘ وقتل قادتها.

وهذه التوجهات السياسية المتسرعة كانت عرضة للأخذ والرد. فمن عملية عسكرية واسعة لاجتياح غزة إلى عمليات عسكرية محدودة بالتوغل والنتائج بفعل نصائح أميركية لاختبار قدرة ’’حماس‘‘ وتفادي المفاجآت العسكرية في الأنفاق. وهكذا بفعل التوجهات السياسية المتسرعة والمتغيرة أصبحت الحرب الإسرائيلية على غزة تستهدف في شكل خاص المدنيين والأطفال والنساء وكبار السن وأعطت في الرأي العام الدولي انطباعاً سيئاً عن الآلة العسكرية الإسرائيلية التي تستجيب لقرارات سياسية من اليمين الديني الذي يربط بين ’’اجتثاث حماس‘‘ و’’اجتثاث الشعب الفلسطيني‘‘. ومن هنا نرى تباينات بين الدول الغربية الداعمة لإسرائيل وبين شعوبها التي ترفض حرب الإبادة والتجويع والحؤول دون الماء والكهرباء والوقود والدواء.

لكن تلك التباينات لم ترقَ إلى أبعد من الاعتراض على الممارسات الإسرائيلية التي لا تراعي الاعتبارات الإنسانية والقواعد الدولية الملزمة بالحروب حتى الآن. لكن في كل الاعتبار أصبح واضحاً أن العواصم الغربية وعلى رأسها واشنطن تطرح سؤالاً مركزياً هو ’’ما الأفق السياسي لما بعد الحرب الإسرائيلية على غزة؟‘‘. هنا واشنطن تبادر إلى إعطاء جواب. ’’الحل هو في إقامة الدولتين: دولة إسرائيل ودولة فلسطين‘‘. والجواب لا يتضمّن كيف يتحقق ذلك وبأيّ أدوات وأيّ ضمانات وما هو موقع ’’حماس‘‘ فيه وعبر أي قيادات وما مكانة ’’فتح‘‘ و’’منظمة التحرير الفلسطينية‘‘. وهذا الجواب الأميركي يحاول الربط مع الدول العربية وتحديداً مع المملكة العربية السعودية. فعلى ما يبدو، إن المقاربة الأميركية لمكان إسرائيل في الإقليم تبتعد إلى حدود بعيدة عن تصورات اليمين الديني الإسرائيلي. فالمقاربة الأميركية ترتكز على أن ’’تموضع‘‘ إسرائيل في المنطقة ليس في التوسع الجغرافي والاستيطان بل في ’’التطبيع والتكامل الاقتصادي‘‘ على نمط الطريق الذي ربط الهند بإسرائيل مروراً بالسعودية والداخل العربي، وفي كون دبي مركزاً مالياً دولياً كمدخل للتطبيع الاقتصادي والمالي والسياسي وحتى الاجتماعي.

مهما يكن الأمر. الإرباكات شملت الدول العربية، فلا هي تساند ’’حماس‘‘ ولا هي تعترض عليها. والموقف العربي الرسمي عموماً يدور في حلقة المطالبة بوقف الحرب وفتح المعابر وتأمين الغذاء والوقود والدواء والدعوة إلى تبادل الأسرى والخوف من تهجير الفلسطينيين إلى سيناء والأردن والتذكير بمبادرة السلام السعودية... ولكن حتى الآن لا تلويح بالتجميد أو بالخروج ولو الشكلي من التطبيع من جانب الدول التي التزمت به.

وبدوره وصل الإرباك إلى ’’حماس‘‘ نفسها. فالتصريحات التي أدلى بها خالد مشعل رئيس ’’الحركة‘‘ في الخارج والتي أشار فيها ضمناً إلى ’’تقصير‘‘ في ترجمة شعار وحدة الساحات من إيران و"حزب الله"، هذه التصريحات رآها "حزب الله" في غير مكانها واعترض عليها ’’المستوى العسكري‘‘ في ’’حركة حماس‘‘ الذي اعتبر أن التنسيق هو على أعلى المستويات بين ’’الحركة‘‘ و’’الحزب‘‘. وبالعكس فإن موقف "حزب الله" الغامض والتزامه بقواعد الاشتباك وبالاستنفار الواسع على الحدود الجنوبية وتنويعه العسكري في المواجهات أربك إلى حدود بعيدة القيادة الإسرائيلية وأدّى إلى استنفار ثلاث فرق عسكرية وإخلاء المستوطنات. وهذا يكشف أن "حزب الله" يوفق بين معادلة دعم غزة وبين الضرورات الوطنية اللبنانية التي توجب عدم استدراج الحزب إلى مواجهة شاملة في التوقيت غير المناسب.

أيضاً الرئيس الفلسطيني محمود عباس وقع في الإرباك مثله مثل الحكام العرب. وأما المستفيد الأبرز من الحرب الإسرائيلية على غزة فهو الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ومعه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان. كذلك من المرتقب أن يكون لنائبة الرئيس الأميركي كامالا هاريس حضور في معادلات البحث عن المخارج والإرباكات المتعددة خصوصاً أن الرئيس الأميركي جو بايدن يخسر في وسط شباب الحزب الديموقراطي الذي يمثله في البيت الأبيض.